الخروج على الوزن في الشعر القديم

د. مراد حسن عباس

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

مقدمة : الشعر والوزن

الوزن أحد أركان الشعر العربي؛ وهو في تعريفات بعض القدماء أهمها على الإطلاق؛ ومنذ أن عرف قدامة الشعر بأنه (كلام موزون مقفى يدل على معنى)؛ والعلماء يضعون الوزن على رأس مكونات الشعر؛ ولذلك يقول صاحب الهوامل والشوامل "ولما كان الناطق والطائر يشتركان في الحي الذي هو جنس لهما، ثم ينفصل الناطق عن الطائر بفضل النطق - فكذلك النظم والنثر يشتركان في الكلام الذي هو جنس لهما، ثم ينفصل النظم عن النثر بفضل الوزن الذي به صار المنظوم منظوماً، ولما كان الوزن حلية زائدة، وصورة فاضلة على النثر صار الشعر أفضل من النثر من جهة الوزن، فإن اعتبرت المعاني مشتركة بين النظم والنثر، وليس من هذه الجهة تميز أحدهما من الآخر، بل يكون كل واحد منهما صدقاً مرة، وكذباً مرة، وصحيحاً مرة، وسقيماً أخرى.

ومثال النظم من الكلام مثال اللحن من النظم، فكما أن اللحن يكتسي منه النظم صورة زائدة على ما كان له، كذلك صفة النظم الذي يكتسي منه الكلام صورة زائدة على ما كان له. وقد أفصح أبو تمام عن هذا حين قال:

هي جوهر نثر فإن ألفته بالنظم صار قلائداً وعقوداً."[1]

وربما بسبب من هذا كان النبي ε يتوخي أن يغير من ألفاظ الشعر بحيث يختل الوزن فلا يعود شعرا؛ وإن كان المعنى واحدا؛ فمن ذلك ما تمثل به ε "وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يتمثل بقول طرفة:

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وهو نصف بيت مجموعه:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ويروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يخرجه عن الوزن، ويحيله عن طريق الشعر، فكان يقول: (ويأتيك من لم تزود بالأخبار) فراراً من قول الشعر المنزه عنه مقامه العالي، وشرفه الرفيع، لكن ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: (أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد) :

(1) الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي – تحقيق أحمد أمين؛ أحمد صقر – ط الهيئة العامة المصرية للكتاب 2009 - ص 92.

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

والمحرم عليه صلى الله عليه وسلم، إنما هو نظم الشعر دون إنشاده وسماعه. "[2]

وربما لهذا أيضا لم يسم الناس ما جاء موزنا من القرآن الكريم أو من قول النبي شعرا؛ امتثالا لقول الله تعالى:

(وما علمناه الشعر؛ وما ينبغي له)

لذا يقول ابن عبد ربه عن هذا اللون من الكلام: "فهذا من المَنثور الذي يُوافِق المنظوم، وإن لَم يتعمد به قائله المنظوم. ومثل هذا من كلام الناس كثير يأخذه الوَزن، مثلُ قول عبد مملوك لمواليه: اذهبوا بي إلى الطبيب، وقولوا قد اكتوى. ومثله كثير مما يأخذه الوزن ولا يُراد به الشعر. ولا يُسمَّى قولُ النبيّ صلى الله عليه وسلم وإن كان موزوناً، شعراً، لأنه لا يراد به الشّعر. ومثلُه في آي الكتاب: " ومِن اللَّيْل فَسَبّحه وإدْبَار النُّجوم " ومنه: " وجِفَان كالجَوَاب وقُدُور راسيات " ومثله " ويُخزْهم ويَنْصركم عليهم ويَشْفِ صدور قوم مُؤمنين " ومنه: " فَذَلكَ الَّذي يَدُعِّ اليَتيم " . ولو تطلّبت في رسائل الناس وكلامهم لوجدت فيه ما يَحتمل الوزن كثيراً ولا يُسمّى شعراً. من ذلك قولُ القائل: مَن يشتري باذنجان. تقطيعه: مستفعلن مفعولات. وهذا كثير."[3]

وقد عد الجاحظ الوزن جزءا من جمال الشعر العربي الذي تفاخر به العربية سائر الأمم؛ ولذلك قال إن الشعر لا يمكن أن يترجم وإلا فقد أهم ما يميزه في باب البيان

" وقد نُقِلَتْ كتبُ الهند، وتُرجمتْ حكم اليونانيّة، وحُوِّلت آدابُ الفرس، فبعضها ازدادَ حُسناً، وبعضها ما انتقص شيئاً، ولو حوّلت حكمة العرب، لبطل ذلك المعجزُ الذي هو الوزن، مع أنَّهم لو حوَّلوها لم يجدوا في معانيها شيئاً لم تذكرْه العجم في كتبهم ، التي وضعت لمعاشهم وفِطَنهم وحِكمَهم، وقد نُقِلَتْ هذه الكتبُ من أمَّةٍ إلى أمّة، ومن قَرن إلى قرن، ومِن لسانٍ إلى لسان، حتى انتهت إلينا،

(2) صبح الأعشى في صناعة الإنشا – القلقشندي – تحقيق محمد حسين شمس الدين وآخرين – دار الكتب العلمية - ج 1 ص 125

(3) العقد الفريد لابن عبد ربه – تحقيق محمد عبد القادر شاهين – المكتبة العصرية - ج 2 ص 311.

وكنَّا آخرَ مَنْ ورثها ونظَر فيها، فقد صحَّ أَنَّ الكتبَ أبلغُ في تقييدِ المآثِر، من البُنيان والشعر."[4]

وربما بسبب من هذا شاع عن الجاحظ تفضيله للفظ على المعنى؛ لأن معاني الأشعار تعرفها الأمم كلها؛ ولكن هيئة هذه الأشعار بما تتضمنه من الوزن يميز هذه الحكمة في اللغة العربية ؛ إذ تقترن الحكمة بالموسيقى فتكون أسهل حفظا وأشد وقعا؛ ولذا وجد الجاحظ أن ترجمة الشعر من اللغة العربية إلى غيرها يضيع معها أهم ما يميزه في تلك اللغة؛ فقد وجد الجاحظ بعض المعاني الخفية التي لا يستطيع سوى الشعر نقلها؛ ولذلك يقول:

"وذهب الشَّيخُ إلى استحسانِ المعنى، والمعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ، والبدويُّ والقرَوي، والمدنيّ، وإنَّما الشأنُ في إقامةِ الوزن، وتخيُّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحَّة الطبع وجَودَة السَّبك، فإنما الشعر صناعةٌ، وضَرْب من النَّسج، وجنسٌ من التَّصوير."[5]

وإذا كان الجاحظ قد ألمح إلى صعوبة ترجمة الشعر ولم يشر إلى أن هذه مزية في شعر الأمم كلها بل جعلها مزية للشعر العربي دون سواه؛ فابن عبد ربه يرى أن أوزان الأشعار لم تكن خصيصة يختص بها العرب دون غيرهم من سائر الأمم فالوزن قسمة مشتركة بين الأمم؛ وليس مما تفخر به العربية دون سواها من سائر اللغات؛ ولذلك يقول:

"ولم يكن للعرب مَلِك يَجْمع سَوادَها، ويَضُم قواصِيَها، ويقْمع ظالمَها، وينْهي سَفِيهها، ولا كان لها قَطُّ نَتِيجة في صِناعة، ولا أثر في فَلْسفة، إلا ما كان من الشّعر، وقد شاركَتْها فيه العَجم، وذلك أن للرّوم أشْعاراً عجيبة قائمة الوَزْن

---

(4) الحيوان – الجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون – دار الجيل ج1 ص 24

(5) الحيوان – الجاحظ ج1 ص 219؛ والجاحظ لم يكتف في عدم القدرة على نقل الشعر بسبب الوزن فقط بل ضم إليه ما يتضمنه الشعر من معان خفية لا يستطيع المترجم أن يؤديها حق قدرها فقال"ثم قال بعضُ مَنْ ينصر الشعر ويحوطه ويحتجُّ له: إنَّ التَّرجُمان لا يؤدّي أبداً ما قال الحكيمُ، على خصائِص معانيه، وحقائق مذاهِبه ودقائق اختصاراته، وخفيَّاتِ حدوده، ولا يقدِر أَنْ يوفيها حقوقها، ويؤدِّيَ الأمانة فيها، ويقومَ بما يلزمُ الوكيلَ ويجبُ على الجَرِيّ، وكيف يقدِر على أدائها وتسليمِ معانيها، والإخبار عنها على حقِّها وصدقها، إلاّ أَنْ يكونَ في العلم بمعانيها، واستعمالِ تصاريفِ ألفاظِها، وتأويلاتِ مخارجِها ، ومثلَ مؤلِّف الكتاب وواضعِه، فمتى كان رحمه اللّه تعالى ابنُ البِطريق، وابن ناعمة، وابن قُرَّة، وابن فِهريز، وثيفيل، وابن وهيلي، وابن المقفَّع، مثلَ أرسطاطاليس؟ ومتى كان خالدٌ مثلَ أفلاطون؟"

والعَرُوض. فما الذي تَفْخر بـه العَرب علـى العجم، وإنمـا هـي كالذّئاب العاديـة، والوُحـوش النَّـافرة، يَأْكل بعضُـها بعضـاً، ويُغير بعضـها علـى بَعْض، فرجالُها مَوْثوقـون فـي حَلَـق الأسْـر، ونسـاؤها سَـبايا مُرْدَفـات علـى حَقائـب الإبـلِ، فـإذا أدركهنَّ الصَّريخ فاستُنْقِذن بالعشيّ، وقد وُطِئْن كما تُوطـأ الطَّريقُ المَهيْع، فَخر بذلك الشاعر فقال:

وأَلْحق رَكْب المُرْدفات عَشِيّة

فقيل له: وَيْحك، وأي فَخْر لك في أن تَلْحقهن بالعشي وقد نُكِحْن وامْتُهِنَ."[6]

على أن الجاحظ له رأي آخر في طبيعة الأشعار غير العربية؛ فقد رآها لا تتبع وزنا واحدا؛ وإنما تقوم على تمطيط الكلام وبسطه أو قبضه ليتوافق مع اللحن؛ إذ يقول:

"العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة، والعجم تمطط الألفاظ تقـبض وتبسـط حتـى تـدخل فـي وزن اللحـن[7] فتضـع موزونـاً علـى غيـر موزون"[8].

---

(6) العقد الفريد – ابن عبد ربه – ج1 ص 414. وفي هذا النص نشتم أثر الشعوبية واضحا؛ لقد أراد ابن عبد ربه أن ينفي عن العرب أهم ما يميز لغتهم في معنى الفصاحة من خلال إثبات أن حكمتهم غير ذات بال وما كان فيها من الشعر تتساوى فيه الأمم؛ وتعدى ذلك بأن يسميهم بالذئاب العادية والوحوش النافرة.

(7) واللحن: الغناء. "وفي الحديث: اقرءوا القرآن. بلحون العرب وأصواتها، وإيّاكم ولحون أهل العشق ". ويراد به التطريب وترجيع الصوت وتحسين القراءة والشعر والغناء. وقد كان اليهود والنصارى يقرءون كتبهم نحوا من ذلك.ويرجع الأخبار غناء الجاهلين إلى ثلاثة أوجه: النصب، والسناد، والهزج. فأما النصب، فغناء الركبان وغناء االفتيان والقينات، ويغني به في المراثي كذلك. وقد دعي إسحاق بن إبراهيم الموصلي، الغناء الجنابي نسبة إلى رجل من كلبٍ يقال له: جناب بن عبد الله بن هبل. وهو الذي يقال له "المراثي"، ومنه كان أصل الحداء، وكله يخرج من الطويل في العروض. وأما السناد، فالثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات. وأما الهزج، فالخفيف الذي يرقص عليه ويمشي بالدف والمزمار فيطرب ويستخف الحليم.

ويذكر أهل الأخبار أن الأنواع المذكورة كانت غناء العرب، حتى جاء الإسلام وفتحت العراق، وجلب الغناء والرقيق من فارس والروم، فغنوا الغناء المجزأ المؤلف بالفارسية والرومية، وغنوّا جميعاً بالعيدان والطنابر والمعازف والمزامير. وذكر أيضاً أن الغناء قديم في الفرس والروم، ولم يكن "للعرب قبل ذلك إلا الحداء والنشيد، وكانوا يسموّنه "الركباني" "الركبانية". والنشيد رفع الصوت، ومن المجاز الشعر المتناشد بين القوم ينشده بعضهم بعضاً.

وربما يقصد الجاحظ بتمطيط الكلام وبسطه ما نعرفه من أن الشعر العربي كمي يقوم على عدد الحركات والسكنات في البيت الشعري؛ أما الشعر في اللغة اليونانية (التي يبدو أن الجاحظ كان قد اطلع على آثارها الشعرية) فنبري يقوم على الانخفاض والارتفاع في درجة الصوت.

ولم يكن هذا رأي الجاحظ وحده في أوزان الأشعار اليونانية؛ إذ يبدو أنهم كانوا على قناعة بأن الوزن خصيصة يختص بها الشعر العربي دون غيره

وذكر "المسعودي" أن غناء العرب النصب، ثلاثة أنجاس: الركباني، والسناد الثقيل، والهزج الخفيفْ"

"و "التلبية" إجابة المنادي، أي إجابة الملبي ربه. وقولهم: لبيك اللهم لبيك، معناه إجابتي لك يا رب، وإخلاصي لك. وقد كان الجاهليون يلبون لأصنامهم تلبيات مختلفة. وقد ذكر "أبو العلاء المعري"، إن تلبيات العرب جاءت طما ثلاثة أنواع: مسجوع لا وزن له، ومنهوك، ومشطور. فالمسجوع كقولهم: لبيك ربنا لبيك والخير كله بيديك

والمنهوك على نوعين: أحدهما من الرجز، والآخر من المنسرح. فالذي من الرجز كقولهم:

لبيك إنّ الحمد لك والملك لا شريك لك
إلا شريك هو لك تملكه وما ملك

أبو بنات بفدك و كقولهم: لبيك يا معطي الأمر لبيك عن بني النمر
جئناك في العام الزمر نأمل غيثاً ينهمر يطرقُ بالسيل الخَمر

والذي من المنسرح جنسان: أحدهما في آخره ساكنان كقولهم: لبيك رب همدان من شاحط ومن دان
جئناك نبغي الإحسان بكل حرف مذعان
نطوي إليك الغيطان نأمل فضل الغفران

والآخر لا يجتمع فيه ساكنان كقولهم: لبيك عن بجيله الفخمة الرجيله
ونعمت القبيله جاءتك بالوسيله تؤمل الفضيله

وربما جاءوا على قوافٍ مختلفة، من ذلك تلبية بكر بن وائل: لبيك حقاً حقا تعبداً ورقا
جئناك للنصاحة لم نأت للرقاحه

وروي في تلبية "تميم" قولها: لبيك لولا أن بكراً دونكا يشكرك الناس ويكفرونكا
ما زال منا عثج يأتونكا

وروا أن من تلبيات همدان: لبيك مع كل قبيل لبيك همدان أبناء الملوك تدعوك
قد تركوا أصنامهم وانتابوك فاسمع دعاءً في جميع الأملوك

ومن تلبياتهم قولهم: لبيك عن سعد وعن بنيها وعن نساء خلفها تعنيها
سارت إلى الرحمة تجتنيها

وختم "أبو العلاء المعريَ" رأيه عن التلبية بقوله: "والموزون من التلبية، يجب أن يكون كله من الرجز عند العرب، ولم تأت التلبية بالقصيد. ولعلهم قد لبّوا به ولم تنقله الرواة " انظر المفصل في تاريخ العرب – ج1 ص 3535.

(8) البيان والتبيين - للجاحظ – تحقيق عبد السلام محمد هارون – ط الخانجي – 1998/1418 - ج1 ص 112.

من سائر اللغات؛ ولذا نجد الشهرستاني يعدد أنواع الأشعار اليونانية كما استقرأها في كتبهم فيقول :

" فمنهم الشعراء؛ الذين يستدلون بشعرهم. وليس شعرهم على وزن وقافية، ولا الوزن والقافية ركن في الشعر عندهم؛ بل الركن في الشعر عندهم إيراد المقدمات المخيلة فحسب. ثم قد يكون الوزن والقافية معينين في التخيل. فإن كانت المقدمة التي نوردها في القياس الشعري مخيلة فقط تمخض القياس شعرياً، وإن انضم إليها قول إقناعي يقينياً تركبت المقدمة من معينين شعري وإقناعي، وإن كان الضميم إليه قولاً يقينياً تركبت المقدمة من شعري وبرهاني."(9)

ولم يقع الفارابي في الوهم الذي وقع فيه الجاحظ من أن أشعار اليونان ليست موزونة؛ بل أشار إلى أن لكل فن وزنا في أشعارهم؛ ولذلك يقول الدكتور إحسان عباس عن الفارابي:

"وإذا تناول الفارابي أصناف الشعر وجد أنها إما أن تتنوع من ناحية الأوزان أو من ناحية المعاني، وهو على وعي بأن العلماء المعاصرين له الذين تحدثوا عن أشعار العرب والفرس تناولوها من ناحية المعاني فقسموا الأشعار إلى الأهاجي والمدائح والمفاخرات والألغاز والمضحكات والغزليات، وما ذلك إلا لأن الشعراء في جميع الأمم خلطوا أوزان أشعارهم بأحوالها، أي أنهم نظموا في المديح أو الرثاء على عدة أوزان، وانفرد اليونان بين الأمم بأن خصصوا لكل موضوع وزنا مستقلا، فوزن المدائح غير وزن الأهاجي، ووزن الأهاجي غير وزن المضحكات، فإذا قلنا إن من أنواع الشعر اليوناني الطراغوذيا والقوموذيا كان معنى ذلك أن الطراغوذيا يشمل موضوعا ووزنا يحددان طبيعته ويميزانه عن القوموذيا.

وقد عد الفارابي من أنواع الشعر اليوناني ثلاثة عشر نوعا منها الطراغوذيا وديثرمبي وقوموذيا وإيامبو وأفيقي (Epic) وريطوري، وعرف كل نوع منها، فكان مما قاله في تعريف الطراغوذيا: هو نوع من الشعر له وزن معلوم يلتذ به كل من سمعه من الناس أو تلاه، يذكر فيه الخير والأمور المحمودة المحروص

(9) الملل والنحل - الشهرستاني - تحقيق أمير علي مهنا – علي حسن فاعور – دار المعرفة ط الثالثة 1993/1414 - ج1 ص 127

عليها ويمدح بها مدبر والمدن، وكان الموسيقاريون يغنون بها بين يدي الملوك، فإذا مات الملك زادوا في أجزائها نغمات أخرى وناحوا بها على أولئك الملوك.

وفي تعريف ديثرمبي قال: نوع من الشعر له وزن ضعف وزن طراغوذيا يذكر فيه الخير والأخلاق الكلية المحمودة والفضائل الإنسانية، ولا يقصد به مدح ملك معلوم ولا إنسان معلوم، لكن تذكر فيه الخيرات الكلية، وأما أيامبو فهو نوع من الشعر له وزن معلوم تذكر فيه الأقاويل المشهورة سواء أكانت تلك من الخيرات أو الشرور، بعد أن كانت مشهورة مثل الأمثال المضروبة. وكان يستعمل هذا النوع من الشعر في الجدال والحروب وعند الغضب والضجر."(10)

وزن الأشعار إذن قسمة مشتركة بين الأمم؛ ويعد من أهم خصائص الشعر وفضائله؛ لكن أشعار الأمم لم تكن موزونة كلها؛ حتى ما ذاع منها وأصاب شهرة بين الناس وفضلا.

ورغم أن القدماء قد تنبهوا إلى أن بعض القصائد الجاهلية قد خرجت عن الوزن؛ فإنهم لم يهتموا لهذا الأمر بالشكل الذي يليق؛ ربما لأنهم عدوا ذلك من الشاذ الذي يثبت القاعدة ولا ينفيها؛ ولكنني أريد أن أقف على أسباب خروج هؤلاء الشعراء عن الوزن؛ وكيف حظيت هذه القصائد غير الموزونة بشهرة ربما تعادل شهرة القصائد الموزونة.

الخروج المتعمد عن الوزن في الشعر القديم وأسبابه:

وقد يكون من المفهوم زيادة بعض الكلمات في أول القصيدة وليست من وزنها؛ وربما يكون ذلك لونا من التنبيه لسماع ما يرد في القصيدة على نحو ما نعرف مما اصطلح على تسميته بالخرم والخزم ونحو ذلك

"فواو الخزم: هي التي تزاد في أول بيت الشعر ويكون الوزن مستغنيا عنها، وأكثر ما يزيدون الواو، والفاء، وألف الاستفهام للحاجة إليهن. وزعم الأخفش أنهم يزيدون الحرفين نحو بل وما جرى مجراها. والناس ينشدون أبياتاً كثيرة مخزومة في قفا نبك كقوله:

وكأن سراته لدى البيت قائماً

(10) ملامح يونانية في الأدب العربي إحسان عباس - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط الثانية 1993ص 27،28.

وكأن دماء الهاديات بنحره

وكذلك كل بيت بعد هذا البيت في أوله كأن وهذا شيء قد ذكره المتقدمون من أهل العلم وترك في أشعار المحدثين فلم يستعمل. وإنما تزاد الواو وغيرها للخزم على معنى الضرورة لتصل كلاماً بكلام."[11]

وكذلك قد يكون من المفهوم نقصان بعض كلمات القصيدة في بدايتها استسهالا؛ أو دخولا إلى الغرض مباشرة؛ ومن هذا ما أورده ابن رشيق القيرواني

"ويأتون بالخزم بزاي معجمة وهو ضد الخرم بالراء غير المعجمة، الناقص منهما ناقص نقطة، والزائد زائد نقطة وليس الخزم عندهم بعيب؛ لأن أحدهم إنما يأتي بالحرف زائداً في أول الوزن، إذا سقط لم يفسد المعنى، ولا أخل به ولا بالوزن، وربما جاء بالحرفين والثلاثة، ولم يأتوا بأكثر من أربعة أحرف، أنشدوا عن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى ورضي عنه:

(اشدد) حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكـــا

فزاد " اشدد " بياناً للمعنى لأنه هو المراد. قال كعب بن مالك الأنصاري يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه:

(لقد) عجبت لقوم أسلموا بعد عزهم مامهم للمنكرات وللغدر

فزاد " لقد " على الوزن، هكذا أنشدوه. وأنشد الزجاج وزعم أصحاب الحديث أن الجن قالته:

(نحن) قتلنا سيد الخزر ج سعد بن عباده
رميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

فزاد على الوزن " نحن " وأنشد الزجاج أيضاً:

(بل) لم تجزعوا يا آل حرب مجزعاً.

فزاد " بل " وأنشد أيضاً:

(11) الفصول والغايات – المعري – تحقيق محمود حسن زناتي - دار الآفاق الجديدة – بيروت د.ت - ص 37.

(يا) مطر بن خارجة بن مسلم إنني أجفى وتغلق دوني الأبواب

وإنما الوزن " مطر بن خارجة " والياء والألف زائدة.. ومما جاء فيه الخزم في أول عجز البيت وأول صدره، وهو شاذ جداً، قول طرفة:

هل تذكرون إذ نقاتلكم إذ لا يضر معدماً عدمه

فزاد في أول صدر البيت " هل " وزاد في أول العجز " إذ " والبيت من قصيدته المشهورة:

أشجاك الربع أم قدمه أم رماد دارس حممه

وقال جريبة بن الأشيم أنشده أبو حاتم عن أبي زيد الأنصاري:

لقد طال إيضاعي المخدم لا أرى في الناس مثلي من معد يخطب

حتى تأوبت البيوت عشية فوضعت عنه كوره تتثاءب

فاللام في " لقد " زائدة، وصاحب هذا الشعر جاهلي قديم، وقالت الخنساء:

أقذىً بعينك أم بالعين عوار أم أوحشت إذ خلت من أهلها الدار

فزادت ألف الاستفهام، ولو أسقطتها لم يضر المعنى ولا الوزن شيئاً، وروى أن أبا الحسن بن كيسان كان ينشد قول امرئ القيس:

كأن ثبيراً في عرانين وبله.

فما بعد ذلك بالواو فيقول:

وكأن ذرى رأس المجيمر غدوة.

وكأن السباع فيه غرقى عشية.

معطوفاً هكذا؛ ليكون الكلام نسقاً بعضه على بعض وقال عبد الكريم بن إبراهيم: مذهبهم في الخزم أنه إذا كان البيت يتعلق بما بعده وصلوه بتلك الزيادة بحروف العطف التي تعطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل والجملة على الجملة، وأخذ الخزم من خزامة الناقة، ومن شأنهم مد الصوت فجعلوه عوضاً من الخرم الذي يحذفونه من أول البيت"[12]

(12) العمدة – ابن رشيق القيرواني تحقيق محمد قرقزان - مطبعة الكاتب العربي ط الثانية دمشق 1414؛1994 - ج1 ص 44.

بل قد يزيد الشاعر تفعيلة كاملة من البحر نفسه الذي تسير عليه القصيدة؛ وهذا أيضا ضرب من الخروج على الوزن؛ ويصف هذا اللون صاحب الصاهل والشاحج فيقول:

"ويكون على الحمار أو البغل الكبير عبء ثقيل غير متعادل في التحميل، بل هو من اليمين مخالف لحاله من الشمال. فمثله مثل هذه الأبيات التي هي في كتاب سيبويه كما أذكر، وقد غيرها بعض الناس رغبة في إصلاح الوزن، وهي:

كيف رأَيتَ زبْرا

كيفرأي تزبرا

مستعلن متفعل

أأقِطاً أَو تمْرا

أأقطن أوتمرا

متعلن مستفعل

أم قرشيّاً بازلاً هِزَبْرا

أمقرشي ينبازلن هزبرا

مستعلن مستفعلن متفعل[13]

ألا ترى إلى قصر البيتين الأولين وطول البيت الثالث؟ وبعضهم ينشده:

أم قرشيّاً صَقْرا

والرواية الصحيحة في كتاب سيبويه كما أخبرتك. والرواية الأخرى أصح وأوزن. وقد جاء عنهم نظير لذلك وهو منه، قال الراجز:

أيا تَيْمُ كوني جَدِلَهْ"[14]

(13) أضيفت مستفعلن في البيت الثالث

(14) الصاهل والشاحج – المعري – تحقيق بنت الشاطئ – دار المعارف ط الثانية 1983 - ص 78.

كل ذلك قد يكون مفهوما إذ إن الشاعر لم يخرج عن طريقة العرب في بناء أشعارها؛ ولكن غير المفهوم أن ترد قصائد كاملة على غير أوزان القصيد كما استنبطها الخليل من الشعر العربي؛ ومن ذلك

"إن شواء ونشوة وخبب البازل الأمون

تقطيعه: اننشوا مفتعلن أنونش فاعلن وتن فعل وخببل فعلتن بازلل فاعلن أموني فعولن وأنه شاذ لا يقاس عليه."[15]

---

(15) مفتاح العلوم للسكاكي – تحقيق عبد الحميد الهنداوي – دار الكتب العلمية – ط الأولى 2000م - ج1 ص 228. وانظر أيضا شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج1 ص 349؛ وما بعدها إذ يقول : "وقال سلم بن ربيعة

إن شواءً ونشوةً ... وخبب البازل الأمون
يجشمها المرء في الهوى ... مسافة الغائط البطين
والبيض يرفلن كالدمى ... في الريط والمذهب المصون
والكثر والخفض آمناً ... وشرع المزهر الحنون
من لذة العيش والفتى ... للدهر والدهر ذو فنون
واليسر كالعسروالغنى ... كالعدم والحي للمنون

هذه المقطوعة خارجة عن البحور التي وضعها الخليل بن أحمد، وأقرب ما يقال فيها إنها تجيء على السادس من البسيط، والنشوة :الخمر والسكر. والخبب والخبب: ضرب من السير. والبازل: التي قد استكمل لها تسع سنين فتناهى قوتها. والأمون: الموثقة الخلق. وخبر إن في قوله (من لذة العيش).

وقوله(يجشمها المرء) من صفة البازل والمعنى يكلفها صاحبها قطع المسافة البعيدة فيما يهواه. والمسافة مأخوذة من السوف، وهو الشم. وكان الدليل إذا اشتبه عليه الطريق يفعل ذلك. والغائط: المطمئن من الأرض. والبطين: الواسع الغامض. وقوله(و البيض يرفلن كالدمى) يعنى به النساء. ويرفلن: يتبخترن في الريط، وهي الملاءة الواسعة. والمذهب المصون؛ يراد به الثياب الفاخرة المطرزة بالذهب. وتعلق في من قوله(في الريط) بيرفلن، وكالدمى في موضع الحال. و المعنى: والنساء البيض يتبخترن في المصونات من الثياب الكريمات وهن مشبهات للصور.والكثر انعطف على البيض، كما أن البيض انعطف على (وخبب البازل الأمون). و المراد بالكثرة كثرة المال ومساعدة الحال، وضده القل. وقال الخليل: كثر الشيء: أكثره، وكذلك قله أقله. و الخفض: التودع. وانتصب (آمناً) على الحال، وانعطف (وشرع) على الخفض. فيقول: إن لذات الدنيا من مأكول ومشروب وملبوس، ومركوب وقد استعمله صاحبه فيما يهواه، وكلفه قطع المسافات فيما تدعوه إليه نفسه، والنساء البيض بالصفة التي ذكرها، والغنى والراحة في الأمن والملاهي، جميع ذلك من لذة العيش. وقوله (وشرع المزهر) أي الأوتار، واحدها شرعة. والمزهر : العود. والحنون: يريد به الصبت من الحنين، فكأنه أشار إلى المزهر منقوراً ينقره الملهى. فانظر فإنه جمع كل ما يلتذ به النفس، وجعلها تامة بما قرن به من حال الأمن، لأن جميع ذلك إذا عرى من الأمن لم يستعطب ولم يستمرأ.

ومن هذا أيضا ما رصده الأقدمون من خروج بعض القصائد عما يسمونه المناسبة في الوزن الشعري "ومن المناسبة أيضاً: التناسب في المقدار وهذا في الشعر محفوظ بالوزن فلا يمكن اختلاف الأبيات في الطول والقصر فإن زاحف بعض الأبيات أو جعل الشعر كله مزاحفاً حتى مال إلى الانكسار وخرج من باب الشعر في الذوق كان قبيحاً ناقص الطلاوة، كقصيدة عبيد بن الأبرص:

أقفر من أهله ملحوب

وكقول ابن يعفر:

إنا ذممنا على ما خيلت	**سعد بن زيد وعمراً من تميم**
إننانذمم ناعلى ماخييلت	**سعدبنزي دنوعم رنمنتميم**
مستفلعن فاعلن مستفعلن	**مستفعلن فاعلن مستفعلان**
وضبة المشتري العار بنا	**وذاك عم بنا غير رحيم**
وضببتل مشترل عاربنا	**وذاكعم منبنا غيررحيم**
متفعلن فاعلن مستعلن	**متفعلن فاعلن مستعلان**
ونحن قوم لنا رماح	**وثروة من موال وصميم**
ونحننقو منلنا رماحن	**وثروتن منموا لنوصميم**
متفلعن فاعلن فعولن[16]	**متفعلن فاعلن مستعلان**

فإن هذا غير مستحسن لأنه خارج عن أسلوب المنظوم والمنثور، وإن كان في العروض مستقيماً وكان الخليل بن أحمد يستحسن بعض الزحاف في الشعر إذا قل، وإذا كثر قبح عنده. وقال بعض الأدباء: هو مثل اللثغة في الجارية يشتهى

ثم قال: (والفتى للدهر والدهر ذوفنون) الواو واو الحال، وذو فنون أي ضرب. يريد: أن كل ذلك مما يتلذ العائش به، لكن الفتى مهدف للدهر، والدهر ذو تارات: كما يهب يرتجع، وكما يسلم بعل، وكما يودع يتعب، وكما يصفى يكدر، وبعد ذلك قال:

واليسر كالعسر والغنى ... كالعدم والحي للمنون

يريد أن شيئاً من هذه الأحوال لا يدوم إلا ريثما يسلط عليه القواطع والمغيرات، فاليسار إذا حصل كالإعسار، في أن واحداً منهما لا يبقي، وغنى النفس كفقرها، ثم انتهاء كل ذلك للحي منا إلى الموت الذي لا غاية وراءه، وليس يتخلص منه بحيلة تنقذ، أو روية تعمل.

(16) القصيدة من مجزوء البسيط والضرب مذيل، عروض البسيط المجزوء (مستفعلن) يمكن أن يدخل فيها الخبن والطي والخبل، الشاعر هنا في البيت الأخير أدخل عليها الخبن وعلة القطع، هذه صورة المخلع، لا تأتي مع ضرب مذيل، كما أن عروض باقي الأبيات صحيحة، ومطوية، وما فعله الشاعر في عروض البيت الأخير أخل بطول الشطر .

القليل منه وإن كثر هجن وسمج. فأما الكلام المنثور فالأحسن منه تساوى الفصول في مقاديرها أو يكون الفصل الثاني أطول من الأول. وعلى هذا أجمع الكتاب وقالوا لا يجوز أن يكون الفصل الثاني أقصر من الأول والذوق يشهد بما قالوه ويقضى بصحته، ولهذا السبب استقبحوا إطالة الفصول لئلا يؤتى بالجزء الأول طويلاً فيحتاج إلى إطالة التالي له ليساويه أو يزيد عليه، فيظهر في الكلام التكلف ويقع ما لا حاجة لمعنى والغرض إليه."[17]

"وقصيدة عبيدٍ:

أقفر من أهله ملحوب

أقفرمن أهلهي ملحوب

مستعلن فاعلن مفعولن[18]

ووزنها مختلف وليست موافقة لمذهب الخليل في العروض. وقصيدة عدي بن زيدٍ العبادي:

قد حان أن تصحو لو تقصر	**وقد أتى لما عهدت عصر**
قدحانأن تصحولو تقصر	**وقد أتى لماعهد تعصر**
مستفعلن مفعولن فاعلن	**متفعلن متفعلن فعولن"[19]**

(17) سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي – تحقيق عبد الرازق أبو زيد زايد – مكتبة الأنجلو المصرية – ط الثانية 1976م - ص 66.

(18) القصيدة من مجزوء البسيط مقطوع العروض والضرب، وعندما يحدث الخبن في عروضه وضربه يكون المخلع (مستفعلن فاعلن فعولن)، ويفترض أن يلتزم الخبن في عروضه وضربه زحافا يجري مجرى العلة، الشاعر في القصيدة لم يفعل ذلك، بل أتي بالتفعيلة مخبونة وغير ومخبونة، مما أخل بالإيقاع، كما أحدث اختلافا في مقدار التفعيلات بين الأبيات .

(19) القصيدة من بحر السريع، عروض مخبولة مكشوفة، دخل عليها علة الكشف وزحافا الخبن والطي. الفصول والغايات المعري - ص 40

ويقول آخر في هذه القصائد:

"ومنه قبيح مردود لا تقبل النفس عليه، كقبح الخلق واختلاف الأعضاء في الناس وسوء التركيب، مثله قصيدة عبيد المشهورة:

أقفر من أهله ملحوب.

فإنها كادت تكون كلاماً غير موزون بعلة ولا غيرها، حتى قال بعض الناس: إنها خطبة ارتجلها فاتزن له أكثرها.

وقال الأصمعي: الزحاف في الشعر كالرخصة في الفقه، لا يقدم عليها إلا فقيه.

وينبغي للشاعر أن يركب مستعمل الأعاريض ووطيئها، وأن يستحلى الضروب ويأتي بألطفها موقعاً، وأخفها مستمعاً، وأن يجتنب عويصها ومستكرهها؛ فإن العويص مما يشغله، ويمسك من عنانه، ويوهن قواه، ويفت في عضده، ويخرجه عن مقصده."[20]

ويسمي بعضهم خروج الأبيات عن الوزن الرمل أو الحرد من الشعر إذ يقول:

"وفي الشعر الرّمل، وهو عند العرب عيبٌ. وهو ممّا تسمّي العرب. وهو كلّ شعر مهزول، ليس بمؤلّف البناء. ولا يحدّون في ذلك شيئاً. وهو نحو قول عبيد:

أقفرَ من أهلهِ ملحوبُ	**...**	**فالقطّبيّاتُ فالذّنوبَ**
أقفرمن أهلهي ملحوبو		**فلقطبي ياتفذ ذننوبو**
متفعلن فاعلن مفعولن		**مستعلن فاعلن مفعولن**

ونحو قول ابن الزّبعري:

ألا لله قومٌ و	**...**	**لدتْ أختُ بني سهمِ**
ألاللا هقومنو		**لدتأخت بنيسهمن**
مفاعيلن مفاعيلُ		**مفاعيلُ مفاعيلن**
هشامٌ وأبو عبد	**...**	**منافٍ مدرهُ الخضمِ**
هشامنو أبوعبد		**منافنمد رهلخضمي**
مفاعيلُ مفاعيلُ		**مفاعيلن مفاعيلن**

وعامة المجزوء يجعلونه رملاً.

(20) العمدة ابن رشيق ج1 ص 44.

وفيه التّحريد. ولا يحدّون فيه شيئاً، إلاَّ أنهم يريدون به غير المستقيم، مثل الحرد في الرجلين.

سمعت كثيراً من العرب يقول: جميع الشعر قصيد ورمل ورجزٌ. أما القصيد فالطويل، والبسيط التام، والكامل التام، والمديد التامّ، والوافر التامّ، والرجز التامّ. وهو ما تغنّى به الركبان، ولم نسمعهم يتغنّون إلا بهذه الأبنية. وقد زعم بعضهم أنّهم يتغنّون بالخفيف. والرّمل كلّ ما كان غير هذا من الشعر وغيره الرجز، فهو رملٌ. والرّجز عند العرب كلّ ما كان على ثلاثة أجزاء، وهو الذي يترنمون به في عملهم وسوقهم، ويحدون به."[21]

"ومن هذا الضرب أيضاً قول المرقش:

هَلْ بِالدِّيَارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمْ	**...**	**لَوْ أَنَّ حَيًّا نَاطِقاً كَلمْ**
هلبدديا رأنتجي بصمم		**لوأننحي ينناطقن كللم**
مستفعلن متفعلن فعلن		**مستفعلن مستفعلن فعْلن**
يَأبِي الشَّبَابُ الأَقْوَرِينَ ولاَ	**...**	**تَغْبِطْ أَخَاكَ أَنْ يُقَالَ حَكَمْ**
يأبششبا بلأقوري نولا		**تَغبطأخا كأنيقا لحكم**
مستفعلن مستفعلن فعلن		**مستفعلن متفعلن فعلن[22]**

والعجب عندي من الأصمعي، إذ أدخله في متخيره، وهو شعرٌ ليس بصحيح الوزن ولا حسن الروى، ولا متخير اللفظ، ولا لطيف المعنى ولا أعلم فيه شيئاً يستحسنُ إلا قوله:

النّشرُ مِسْك والوُجُوهُ دنَا ... نِيرُ وأَطْرَاف الأَكُفِّ عَنَمْ

ويستجاد منه قوله:

لَيْسَ على طُولِ الحيَاةِ نَدَمْ ... ومنْ وَرَاءِ المَرْء مَا يُعْلَمْ"[23]

---

(21) القوافي للأخفش الأوسط تحقيق أحمد راتب النفاخ – دار الأمانة – ط الأولى 1974م - ص 11.

(22) القصيدة من السريع، والخروج هنا يتمثل في تفعيلة الضرب (فعلن) الشاعر يأتي بها متحركة العين أحيانا وساكنة العين أحيانا أخرى، وهذا يخل بأحرف القافية (من أول متحرك قبل آخر ساكنين) فتتغير القافية، تأتي متواتر مرة ومتراكب مرة أخرى، بالإضافة إلى أنه بذلك يستخدم العلة كالزحاف، فأصل التفعيلة (مفعولات) يصيبها الخبن والطي من الزحافات والكشف من العلل فتتحول إلى (فعلن) متحركة العين، وتصيبها علة الصلم فيحذف الوتد المفروق وتتحول إلى (فعْلن) ساكنة العين.

ويشير إلى هذه المسألة أبو هلال العسكري أيضا فيقول:

"وقد قيل: اختيار الرجل قطعة من عقله، كما أنَّ شعره قطعةٌ من علمه. وما أكثر من وقع من علماء العربية في هذه الرذيلة منهم الأصمعي في اختياره قصيدة المرقش:

هل بالدّيارِ أنْ تجيبَ صممْ ... لو أنَّ حيًّا ناطقاً كلّمْ

ولا أعرف على أي وجهٍ صرف اختياره إليها، وما هي بمستقيمة الوزن، ولا مونقة الروى، ولا سلسة اللفظ، ولا جيّدة السّبك، ولا متلائمة النسج.

وكان المفضّل يختارُ من الشعر ما يقلُّ تداول الرواة له، ويكثر الغريب فيه، وهذا خطأ من الاختيار، لأنَّ الغريب لم يكثر في كلام إلاّ أفسده، وفيه دلالة الاستكراه والتكلُّف."(24)

وقد بسط العروضيون القول في هذا المعنى عادين هذه من سقطات الشعراء؛ فعابوا عليهم التخليع:

"وهو أن يكون [الشعر] قبيح الوزن قد أفرط قائله في تزحيفه، وجعل ذلك بنية للشعر كله، حتى ميله إلى الانكسار، وأخرجه عن باب الشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة، إلى ما ينكره حتى ينعم ذوقه، أو يعرضه على العروض فيصح فيه، فإن ما جرى من الشعر هذا المجرى ناقص الطلاوة، قليل الحلاوة، ذلك مثل قول الأسود بن يعفر:

إنا ذممنا على ما خيلت	**سعد بن زيد وعمراً من تميم**
إننانذم ناعلى ماخييلت	**سعدبنزي دنوعم رنمنتميم**
مستفلعن فاعلن مستفعلن	**مستفعلن فاعلن مستفعلان**
وضبة المشتري العار بنا	**وذاك عم بنا غير رحيم**
وضببتل مشترل عاربنا	**وذاكعم منبنا غيررحيم**
متفعلن فاعلن مستعلن	**متفعلن فاعلن مستعلان**
لا ينتهون الدهر عن مولى لنا	**قورك بالسهم حافات الأديم**

---

(23) الشعر والشعراء لابن قتيبة – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار المعارف ط الثانية ج1 ص 4.

(24) الصناعتين لأبي هلال العسكري – تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم – دار إحياء الكتب العربية – ط الأولى 1952/1371م - ج1 ص 1.

لاينتهو نددهرعن مولنلنا	قوركبس سهمحا فاتلأديم
مستفعلن مستفعلن مستفعلن	مستعلن فاعلن مستفعلان
ونحن قوم لنا رماح	وثروة من موال وصميم
ونحننقو منلنا رماحن	وثروتن منموا لنوصميم
متفلعن فاعلن فعولن	متفعلن فاعلن مستعلان
لا نشتكي الوصم في الحرب ولا	ننن منها كتأنان السليم
لانشتكل وصمفل حربولا	نننننمن هاكتأ نانسليم
مستفلعن فاعلن مستعلن	متفعلن فاعلن مستفعلان

ومثل قول عروة بن الورد:25

يا هند بنت أبي ذراع	أخلفتني ظني ووترتني عشقي
/ه/ه//ه ////ه//ه/ه	/ه/ه//ه /ه/ه////ه//ه /ه/ه
مستفعلن متفاعلان	مستفعلن فعْلن متفاعلن فعْلن
ونكحت راعي ثلة يثمرها	والدهر فائته بما يبقى
/ه/ه//ه ////ه//ه /ه/ه	////ه//ه /ه/ه//ه /ه////ه
متْفاعلن متفاعلن متْفا	متفاعلن متْفاعلن متْفعلن

ومثل قصيدة عبيد بن الأبرص، وفيها أبيات قد خرجت عن العروض البتة، وقبح ذلك جودة الشعر، حتى أصاره إلى حد الرديء منه، فمن ذلك قوله:

والمرء ما عاش في تكذيب ... طول الحياة له تعذيب

ولمرءما عاشفي تكذيبيطوللحيا تلهو تعذيبي

مستفعلن فاعلن مستفعلمستفعلن فعلن مستفعل[26]

فهذا معنى جيد ولفظ حسن، غير أن وزنه قد شانه وقبح حسنه، وأفسد جيده.

فما جرى من التزحيف هذا المجرى في القصيدة، أو الأبيات كلها أو أكثرها، كان قبيحاً من أجل إفراطه في التخليع واحدة، ثم من أجل دوامه وكثرته ثانية، وإنما يستحب من التزحيف ما كان غير مفرط، أو كان في بيت أو بيتين من

---

(25) لم ترد الأبيات في ديوان عروة.

(26) يخلط الشاعر في القصيدة بين مجزوء البسيط مقطوع العروض والضرب، وبين مخلع البسيط، فيأتي بتفعيلتي العروض والضرب مرة فعولن (مستفعلن مقطوعة مخبونة) ومرة مستفعل(مقطوعة فقط).

القصيدة من غير توال ولا اتساق، ولا إفراط يخرجه عن الوزن، مثل ما قال متمم بن نويرة:

وفقد بني أم تداعوا فلم أكن ... خلافهم لأستكين وأضرعا
وفقد بنيأممن تداعو فلمأكن خلاف همولأس تكين وأضرعا
فعول مفاعيلن فعولن مفاعلن فعول مفاعلن فعول مفاعلن(27)

فأما الإفراط والدوام فقبيح."(28)

وقد عدد الدكتور شوقي ضيف مجموعة من القصائد التي يختل فيها الوزن الشعري في العصر الجاهلي فقال:

" وتلقانا هذه الصورة التامة الناضجة للقصيدة الجاهلية منذ أقدم نصوصها؛ وحقا توجد قصائد يضطرب فيها العروض ولكنها قليلة؛ من ذلك قصيدة عبيد بن الأبرص الأسدي:

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذبوب

فهي من مخلع البسيط؛ وقلما يخلو بيت منها من حذف في بعض تفاعيله أو زيادة؛ على نحو ما نرى في الشطر الأول من هذا المطلع؛ وعلى غرارها قصيدة تنسب لامرئ القيس مطلعها ؛

عيناك دمعهما سجال كأن شأنيهما أوشال

ومثلها في الاضطراب قصيدة المرقش الأكبر

هل بالديار أن تجيب صمم لو كان رسم ناطقا كلم

فهي من وزن السريع؛ وخرجت شطور بعض أبياتها على هذا الوزن كالشطر الثاني من هذا البيت:

ما ذنبنا في أن غزا ملك من آل جفنة حازم مرغم

---

(27) أدخل زحاف القبض على مفاعيلن في حشو البيت، فاجتمع القبض في تفعيلات الشطر جميعها، فثقل على الأذن.
(28) نقد الشعر – قدامة بن جعفر – تحقيق محمد عبد المنعم خفاجة – دار الكتب العلمية – ط الأولى 1995م - ص 33.

فإنه من وزن الكامل؛ وعلى هذه الشاكلة قصيدة عدي بن زيد العبادي

تعرف أمس من لميس الطلل مثل الكتاب الدارس الأحول

فهي من وزن السريع وخرجت بعض شطورها على هذا الوزن؛ كالشطر الثاني من هذا البيت:

أنعم صباحا علقم بن عدي أثويت اليوم أم ترحل

فإنه من وزن المديد؛ ويماثل هذه القصيدة في اختلال الوزن قصيدته:

قد حان أن تصحو أو تقصر وقد أتى لما عهدت عصر

ومن هذا الباب نونية سلمي بن ربيعة التي أنشدها أبو تمام في الحماسة

إن شواء ونشوة وخبب البازل الأمون

وقد لاحظ التبريزي والمرزوقي أنها خارجة عن العروض التي وضعها الخليل"[29]

ويبدو أن الخروج على الوزن في مخلع البسيط كان شركة بين شعراء الجاهلية؛ إذ نراه عند امريء القيس حامل لواء الشعراء إلى النار؛ فأصل البسيط "مستفعلن فاعلن أربع مرات وهو يستعمل تارة مثمنا وأخرى مجزوءا مسدسا وله في المثمن عروض واحدة مخبونة، ولها ضربان أولهما مخبون وثانيهما مقطوع وفي المسدس عروضان العروض الأولى سالمة ولها ثلاثة أضرب أولها مذال وثانيها معرى وثالثها مقطوع والعروض الثانية مقطوعة ولها واحد مقطوع وهذا البيت الأخير المقطوع العروض والضرب يسمى مخلعا، وعن الخليل أن العروض المقطوعة لا تجامع غير الضرب المقطوع والكسائي يروي خلاف ذلك وهو شعر لامرئ القيس:

عيناك دمعهما سجال كأن شأنيهما أو شال
عيناكدم عهما سجال كأننشأ نيهما أوشالو
مستفعلن فعلن فعولن متفعلن فاعلن مفعولن

(29) العصر الجاهلي – د. شوقي ضيف – دار المعارف ؛ ط الرابعة والعشرون ص184،185.

وللأسود بن يعفر:

ونحن قوم لنا رماح ... وثروة من موال وصميم

وفي قصيدة عبيد بن الأبرص وهي أفقر من أهله ملحوب كثير من هذا القبيل، وهذه القصيدة عندي من عجائب الدنيا في اختلافها في الوزن والأولى فيها أن تلحق بالخطب كما هو رأي كثير من الفضلاء."[30]

أما القدماء فلا نجد تفسيرا لتلك الظاهرة في أشعارهم عند النقاد؛ وأما أشعار المحدثين فقد وقف ابن قتيبة على هذه المسألة عند بعض المتأخرين وعدها من عيوب شعرهم؛ وعلل ذلك بأن من يخرج عن الوزن يكون في غالب أمره شاعرا خفيا؛ لا سبق له في مضمار الشعر؛ وربما رأى فيها قصورا في المعرفة أو نبوا في الحس.

وأما الدارسون المحدثون فقد اختلفوا في أسباب خروج هذه القصائد عن الوزن الشعري رغم أن الوزن يعد ركيزة مهمة في الشعر العربي فمن قائل إن سبب ذلك يعود إلى بدايات الشعر الجاهلي؛ وأنه كان لما يزل في طور النشأة والنمو ولذلك يقول :

" فهناك مسائل تتصل بتطور الشعر الجاهلي أرى أن من المستحيل حلها في الوقت الحاضر، لعدم وجود أدلة علمية مقبولة يمكن أن يركن إليها لحل ما عندنا من عقد مستعصية، مثل نشأة وتطور الشعر العربي [كذا]، وكيف نشأت القصيدة، وعدد الأوزان والبحور العروضية التي سار عليها الجاهليون في وزن الشعر، والتزام القافية أو عدم التقيد بها في الشعر، ومتى نشأت القصيدة، ثم هل كانت لغة الشعر لغة واحدة، خاصة كما نراها في الشعر الجاهلي المدون، أم لم تكن، وإنما كان الشعراء ينظمون بلهجاتهم من الوجهة اللفظية والنحوية والصرفية، ولكن علماء الشعر في الإسلام، هذّبوا تلك الأشعار حتى جعلوها بلهجة واحدة، هي اللهجة التي وصلت إلينا، وإذا كان هذا هو ما جرى، فما هي نسبة التحوير التي أوقعها العلماء على ذلك الشعر؟"[31]

---

(30) مفتاح العلوم – السكاكي – ج1 ص 228.

(31) المفصل في تاريخ العرب – د. جواد علي – دار الساقي – ط الرابعة 2001/1422م ص 5573.

وربما يكون هذا الاضطراب في بعض القصائد ناتجا عن طور من أطوار الشعر العربي لم تكن قد استقامت الأوزان بعد للشعراء؛ خاصة أن شهرة بعض هؤلاء الشعراء تفوق كثيرا ما وصل إلينا من أشعارهم؛ وربما تكون هذه الأشعار المضطربة قد وصلت إلينا بعد سقوط كثير غيرها أشد اضطرابا؛ ولذلك يقول ابن سلام الجمحي : "ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد بن الأبرص؛ اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر؛ ونرى أن غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير؛ غير أن الذي نالهما من ذلك أكثر؛ وكانا من أقدم الفحول؛ فلعل ذلك لذاك"(32)

ويرى أستاذنا الدكتور شوقي ضيف أن

" اضطراب هذه القصائد في أوزانها مما يدل على صحتها؛ وأن أيدي الرواة لم تعبث بها"(33)

ويتفق بروكلمن مع ما ذهب إليه الدكتور/ علي جواد؛ ولكنه يضيف إلى ذلك رأيا يتميز بالجسارة إذ يقول: "وعلى الرغم من أنه لا تزال تعوزنا بحوث شاملة لفن العروض عند قدامى الشعراء، يمكن أن نقرر اليوم بحق إن هذا الفن كان يعتمد عندهم على قواعد ثابتة. نعم نجد في بعض قصائد الشعراء الأقدمين أبياتاً خارجة عن العروض الذي وضعه الخليل بن أحمد، وما وضعه سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط في كتابه العروض، كما في قصائد المرقش الأكبر، وعبيد، وعمرو بن قميئة، وامرئ القيس، وسلمى بن ربيعة. ويبدو أن هذه الظواهر آثار قليلة لمرحلة من النمو لم نقف على كنهها بعد.

وبذل الشعراء المتأخرون محاولات للتخلص من قوانين العروض العربي ولكنهم قلما خرجوا عليه.

وتستحق هذه الأمور وأمثالها أن تكون موضع دراسة خاصة، لما لها من أهمية في تكوين رأي علمي دقيق عن تطور العروض في الجاهلية. و لا يعقل في نظري أن يكون الشاعر الجاهلي قد كان بغفلة عن تلك الأمور التي عدّها الإسلاميون من مواطن الاضطراب والخروج على القواعد. وإذا قسنا هذا

(32) طبقات فحولة الشعراء – ابن سلام الجمحي – تحقيق محمود محمد شاكر – دار المعارف – ط الأولى -1998م - ص 23.

(33) العصر الجاهلي – د. شوقي ضيف دار المعارف؛ ط الرابعة والعشرون ص 185.

الخروج في الوزن على مقاييس وزن الشعر عند الساميين، نرى أنه لم يكن خروجاً، لعدم تقيد ذلك الشعر بالوزن في كل القطعة أو القصيدة، وإنما كانوا يتقيدون بوزن البيت، فالقطعة أو القصيدة عندهم منسجمة ذات نغم ووزن وإن تكونت من بحر أو من جملة بحور، وربما كان هذا شأن القصيدة عند الجاهليين كذلك. ثم إنه في هذه الاضطرابات دلالة على أن في العروض الجاهلي ما فات أمره عن علم "الخليل"، وأن العروض الإسلامي لا يمثل كل عروض الشعر الجاهلي."[34]

وعلى هذا فبروكلمان لا يرى أن هذه القصائد تخرج عن الوزن؛ وإنما يرى أن شيئا من أوزان الجاهلية قد فات الخليل بن أحمد؛ وربما يكون في هذا الكلام شيء من الحقيقة؛ خاصة أن القصائد التي تخرج عن الأوزان التي وضعها الخليل كانت في غالبها من بحري السريع ومخلع البسيط؛ وربما يكون الجاهليون قد توسعوا في هذين البحرين في العروض بما لم يشمله علم الخليل.

وقد يتفق بعض العلماء مع رأي بروكلمان هذا؛ إذ لا يعتقدون أن هذه الأشعار التي جاءت على غير الأوزان العروضية مكسورة؛ وإنما يعتقدون أنهم كانوا ينشدون أشعارهم بألحان خاصة لم تصل إلينا؛ ولذا كانت تستقيم لهم هذه الأوزان على غير ما نعتقده فيها من خطأ عروضي إذ يقول التوحيدي:

" ولكن سمعنا للشعراء الجاهليين المتقدمين أوزاناً لا تقبلها طباعنا، ولا تحسن في ذوقنا، وهي عندهم مقبولة موزونة، يستمرون عليها كما يستمرون في غيرها، كقول المرقش:

لابنة عجلان بالطف رسوم	**...**	**لم يتعفين والعهد قديم**
لبنتعج لانبط طففرسوم		**لميتعف فينول عهدقديم**
مستعلن فاعلن مستعلان		**مستعلن فاعلن مستعلان**

وهي قصيدة مختارة في المفضليات، ولها أخوات لا أحب تطويل الجواب بإيرادها - كانت مقبولة الوزن في طباع أولئك القوم، وهي نافرة عن طباعنا، نظنها مكسورة.

وكذلك قد يستعملون من الزحاف في الأوزان التي تستطيبها ما يكون عند المطبوعين منا مكسوراً، وهي صحيحة.

---

(34) المفصل في تاريخ العرب ص

والسبب في جميع ذلك أن القوم كانوا يجبرون بنغمات يستعملونها مواضع من الشعر يستوى بها الوزن.

ولأننا نحن لا نعرف تلك النغمات إذا أنشدنا الشعر على السلامة لم يحسن في طباعنا، والدليل على ذلك أنا عرفنا في بعض الشعر تلك النغمة حسن عندنا، وطاب في ذوقنا كقول الشاعر:

إن بالشعب الذي دون سلع	**...**	**لقتيلاً دمه ما يطل**
إننبالششع بللذيدو نسللعي		**لقتيلن دمهوما يطللو**
فاعلاتن فاعلاتن متفعلن		**فعلاتن فعلاتن فعولن**

فإن هذا الوزن إذا أنشد مفكك الأجزاء بالنغمة التي تخصه طاب في الذوق وإذا أنشد كما ينشد سائر الشعر لم يطب في كل ذوق.

وهذه سبيل الزحاف الذي يقع في الشعر مما يطيب في ذوق العرب وينكسر في ذوقنا.

لولا أن الموسيقا مركوزة في الطباع، ووزن النغم ومقابلة بعضه بعضاً مجبولة عليه النفس لما تساعدت النفوس كلها على قبول حركات أخر بعينها.

وتلك الحركات المقبولة هي النسب التي يطلبها الموسيقي، ويبني عليها رأيه وأصله.

والعروضي إنما يتبع هذه الحركات والسكنات التي في كل بيت فيحصلها بالعدد، وبالأجزاء المتقابلة المتوازنة؛ فإن نقص جزء من الأجزاء ساكن أو متحرك فإنما يجبره المنشد بالنغمة حتى يتلافاه؛ فمتى ذهب عنه ذلك لم يستقم في ذوقه، ولم يساعد عليه طبعه؛ فأما من نقص ذوقه في العروض فإنما ذلك للغلط الذي يقع له في بعض الزحافات التي يجيزها العروض، وله مذهب عند العرب، فيقع لصاحب الذوق الذي لا يعرف تلك النغمة التي تقوم بذلك الزحاف - أنه جائز في كل موضع فيغلط من ههنا، ويتهم أيضاً طبعه حتى يظن أن المنكسر من الشعر أيضاً هو في معنى المزاحف، وأنه كما لم يمتنع المزحوف من الجواز كذلك لا يمتنع هذا الآخر الذي يجري عنده مجراه؛ وهذا غلط قد عرف وجهه ومذهب صاحبه فيه؛ وأما واضع العروض فقد كان ذا علم بالوزن، وصاحب ذوق وطبع فاستخرج صناعة من الطباع الجيدة تستمر لمن ليست له طبيعة

جيدة في الذوق؛ ليتمم بالصناعة تلك النقيصة؛ وكذلك الحال في صناعة النحو والخطابة، وما يجري مجراها من الصنائع العلمية.

وليس يجري صاحب الصناعة، وإن كان ماهراً في صناعته - مجرى الطبع الجيد الفائق."[35]

وقد نتفق أيضا مع هذا الرأي خاصة أن بعض الأشعار كانت تأتي بلغة القبائل غير متوافقة مع لهجة قريش؛ فكان الرواة في أحيان بإقامتها على لهجة قريش؛ وقد يجبرون بعض الأخطاء العروضية فيها؛ فيبدلون كلمة مكان أخرى؛ وربما أعجزتهم بعض القصائد التي وصلت إلينا مضطربة؛ فلم يصح لهم الوزن فيها؛ بعد توخي سيرها على اللهجة القرشية؛ أو لأنهم تركوها بغير تعديل.

وقد أرجع بعضهم سبب هذه الأخطاء العروضية إلى الرواة وفي ذلك ما يقوله المعري في رسالة الغفران إذ يتهم رواة بغداد بعدم الفهم في الشعر، حيث يسأل "أمرأ القيس": "يا أبا هند، إن رواة البغداديين ينشدون في قفا نبك، هذه الأبيات بزيادة الواو في أولها، أعني قولك:

وكأن ذرى رأس المجيمر غدوة

وكأن مكاكي الجواء

وكأن السباع فيه غرقى

فيقول: أبعد الله أولئك ! لقد أساءوا الرواية. وإذا فعلوا ذلك فأي فرق يقع بين النظم والنثر? وإنما ذلك شيء فعله من لا غريزة له في معرفة وزن القريض، فظنه المتأخرون أصلاً في المنظوم، وهيهات هيهات"[36].

وربما يكون هناك سبب آخر لخروج الأبيات عن الوزن؛ يتعلق كما قال المعري بالرواة والدارسين؛ إذ إن بعض الأشعار لم تقرأ بالشكل الصحيح؛ ما أدى إلى وصفها بأنها خارجة عن كل وزن وقافية؛ فمن ذلك ما ورد عن أبي نواس

"وقد جاء أبو نواس بإشارات أخر لم تجر العادة بمثلها، وذلك أن الأمين بن زبيدة قال له مرة: هل تصنع شعراً لا قافية له؟ قال: نعم، وصنع من فوره ارتجالاً:

---

(35) الهوامل والشوامل - التوحيدي ج1 ص 85.
(36) المفصل - جواد علي - ص 5623.

ولقد قلت للمليحة قولي	**...**	**من بعيد لمن يحبك: " إشارة قبلة "**
فأشارت بمعصم ثم قالت	**...**	**من بعيد خلاف قولي: " " لا لا "**
فتنفست ساعة ثم إني	**...**	**قلت للبغل عند ذلك: " " امش "**

فتعجب جميع من حضر المجلس من اهتدائه وحسن تأتيه، وأعطاه الأمين صلة شريفة."[37]

وقد وقع ابن رشيق في وهم أن الأبيات خالية من القافية؛ وجاء من بعدهم من وصل بها إلى حد أنها خارجة عن وزن الخفيف التي بنيت عليه؛ لقراءته الأبيات كما وردت عند ابن رشيق؛ إلى أن توصل الدكتور/ حسن عباس إلى أن مثل هذه الأبيات لا تقرأ بالصورة التي وردت عليها؛ وإنما تنطق لأنها مما لا يمكن كتابته بالحروف؛ إذ المقصود بالبيت الأول الصوت الذي يصدر عند التقبيل؛ وفي البيت الثاني الصوت الذي يصدر عند الرفض؛ وفي البيت الثالث الصوت الذي يصدر عند حث الدواب على الحركة؛ وبذا تكون الأبيات مستقيمة في الوزن والقافية؛ لكن قوافيها من ذلك النوع الذي يسمع ولا يكتب.

ولكن أبا نواس ربما وقع في خطأ عروضي آخر؛ رصده القاضي الجرجاني؛ يتمثل في هذه الصورة :

"ومن الخطأ في الوزن قوله:

رأيت كل من كا	**...**	**ن أحمقاً معتوها**
في ذا الزمان	**...**	**صار المقدم الوجيها**
يا رب نذل وضيع	**...**	**نوهته تنويها**
هجوته لكيما	**...**	**أزيده تشويها**

فبعضه مستفعلن مفعول وفعول، وبعضه مستفعلن فاعلاتن."[38]

وقد أشار إليه أيضا ابن رشيق في كتابه العمدة محاولا إصلاح هذا الخطأ؛ ونسبته إلى الرواية فقال:"وعند القاضي الجرجاني من غلط أبي النواس في الوزن قوله:

---

(37) العمدة لابن رشيق القيرواني – بتحقيق محمد قرقزان - مطبعة الكاتب العربي ط الثانية دمشق 1414؛1994ج1 ص 102.

(38) الوساطة – الجرجاني – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي - المكتبة العصرية – بيروت – لبنان – د.ت ص 19.

رأيت كل من كان أحمقاً معتوهاً في ذا الزمان صار المقدم الوجيها

//ه//ه //ه//ه //ه//ه //ه//ه

يارب نذل وضيع نوهته تنويها ... هجوته لكيما أزيده تشويهاً

//ه//ه //ه//ه //ه//ه //ه//ه

ولم يقل أبو نواس فيما علمت إلا رب وضيع نذل وهذا أفرط في التعصب والحمية على أبي نواس وغيره لمن لا يجري في حلبتهم ولا يشق غبارهم."[39]

حتى إذا مضينا قليلا في العصر العباسي؛ وجدنا الوزن يحتل موقعا مهما من المعركة التي دارت رحاها بين القديم والحديث متمثلة في شعري أبي تمام والبحتري؛ فقد وقف العلماء طويلا على أخطاء أبي تمام العروضية؛ ورد عليه أنصار هذا المحدث لزمنه بأن نقبوا عن أخطاء الوليد إذ يقول صاحب الموازنة:

في (باب في اضطراب الوزن)

"وما رأيت شيئاً مما عيب به أبو تمام إلا وجدت في شعر البحتري مثله، إلا أنه في شعر أبي تمام كثير وفي شعر البحتري قليل: من ذلك اضطراب الأوزان في شعر أبي تمام.

1 - وقد جاء في شعر البحتري بيتٌ هو عندي أقبح من كل ما عيب به أبو تمام في هذا الباب، وهو قوله:

ولماذا تتبع النفس شيئاً ... جعل الله الفردوس منه بواء

وكذلك وجدته في أكثر النسخ وهذا خارج عن الوزن، والبيت من العروض هو البيت الأول من الخفيف وهو سداسيٌ وزنه:

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن ... فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

وتقطيعه:

ولماذا تتبعن نفشيئاً ... جعللاهل فردوسمن هبواء

فعلاتن مفاعلن فاعلاتن ... فعلاتاتن مستفعلن فعلاتن

(39) العمدة – ابن رشيق – ج1 ص 197؛ وانظر ديوان أبي نواس بتحقيق ايفالد فاغنر – ط بيروت 1424؛2003 ج5 ص456؛ وقد وضع المحقق هذه الأبيات تحت قوله (ومن الخطأ الممزوج بالغثاثة المتناقض قوله من المجتث ثم عاد إلى الرجز.

فحذف ألف " فاعلاتن " الأولى والثانية والأخيرة فصارت فعلاتن، وسين "مستفعلن" الأولى فصارت مفاعلن، وذلك كله زحاف جائز، وزاد في البيت سبباً، وهو حرفان: الهاء من اسم الله عز وجل، واللام من لفظ الفردوس، وهو إكفاء، ولا أعرف مثل هذا البيت، وقد رأيت في بعض النسخ " جعل الله الخلد منه بواء " فإن يكن هكذا قال فقد تخلص من العيب ويكون تقطيع البيت:

جعللا هلخلد من هبواء

2 - وقال البحتري:

حلأتنا عن حاجةٍ ممنوع ... مبتغاها وحاجيتن ممطولة

وهذا من العروض هو البيت الأول من الخفيف، وتقطيعه:

حللأتنا عنحاجتن ممنوعن ... مبتغاها وحاجتن ممطوله
فاعلاتن مستفعلن مفعولن ... فاعلاتن مفاعلن مفعولن

وكان يجب أن تكون عروض البيت - وهي مفعولن الأولى - فاعلاتن، ولا يجوز فيها مفعولن، بلى لو كان البيت مصرعاً لجاز في عروضه مفعولن كما جاز في ضربه - وهي القافية - وذلك قوله " ممطوله " فأما جعله مفاعلن في موضع مستفعلن الثانية في البيت فذلك جائز من الزحاف، وقد غير قومٌ هذه اللفظة في البيت - وهي ممنوع - فقالوا " بمنوعٍ مبتغاها " أي: حلأتنا عن حاجة بمانعٍ منع مبتغاها من عائقٍ أووالٍ عليها، ويكون " مبتغاها " في موضع نصب بمنوعٍ، وهو محتمل."[40]

وإذا مضينا قدما في العصر العباسي وجدنا الشعراء يخرجون عن الوزن كما وضعه الخليل؛ وكما وجدناه عند القدماء في قصائدهم التي وردت إلينا فمن ذلك ما أورده الثعالبي في حديثه عن شعر المتنبي إذ يقول:

ومن عيوب شعر المتنبي "الخروج على الوزن كقوله:

تفكره علم، ومنطقه حكم ... وباطنه دين، وظاهره ظرف
تفكك رهوعلمن ومنط قهوحكموو باط نهودينن وظاه رهوظرفو
فعول مفاعيلن فعول مفاعيلن ** فعول مفاعيلن فعول مفاعيلن

(40) الموازنة – الآمدي – تحقيق أحمد صقر – دار المعارف ط الرابعة - ج1 ص 90،91.

وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يجئ عن العرب مفاعيلن " في عروض الطويل غير مصرع، وإنما جاء مفاعلن " ، قال الصاحب: ونحن نحاكمه إلى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل، فما نجد له على خطئه مساعداً.

قال القاضي أبو الحسن: وقد عيب أيضاً بقوله:

إنما بدر بن عمار سحاب	**...**	**هطل فيه ثواب وعقاب**
إننمابد ربنعمما رنسحابو		**هطلنفي هثوابن وعقابو**
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن		**فعلاتن فعلاتن فعلاتن**

لأنه أخرج الرمل على "فاعلاتن" وأجرى جميع القصيدة على ذلك في الأبيات غير المصرعة، وإنما جاء الشعر على "فاعلن" وإن كان أصله في الدائرة فاعلاتن"[41].

وإذا تقدمنا قليلا في عصور الأدب العربي وجدنا من كان يتحلل من الوزن والقافية إما ترخصا أو تظرفا ومن ذلك من يذكرهم أصحاب السير إذ يقول صاحب نهاية الأرب عن الملك الكامل "وكان الملك المعظم - رحمه الله تعالى - فقيهاً فاضلاً، نحوياً، قرأ القرآن وتفقه على مذهب أبي حنيفة على الشيخ فخر الدين الرازي، وحفظ المسعودي، واعتنى بالجامع الكبير. واشتغل بالأدب على تاج الدين الكندي، فأخذ عنه كتاب سيبويه، وشرحه للسيرافي، والحجة في القراءات لأبي على الفارسي، والحماسة. وقرأ الإيضاح لأبي علي، حفظاً. وسمع مسند أحمد بن حنبل بدمشق على ابن طبرزد، وأشياء من مسموعاته. وسمع السيرة لابن هشام، وغير ذلك. وله ديوان شعر. وصنف في العروض، وكان مع ذلك لا يقيم وزن الشعر في بعض الأوقات."[42]

ويتحدث صاحب الجليس الصالح عن أن حمدان البرتي كان يقول الشعر بلا وزن ولا روي "وانصرف البرتي متيماً، فما زال مدنفاً يبكي ويهيم فوق السطوح، ويقول الشعر فكان مما قاله:

---

(41) يتيمة الدهر – الثعالبي - تحقيق د. مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان - ج1 ص 49

(42) نهاية الأرب – للنويري – دار الكتب المصرية – 1342-1923/1351- 1933م ج 8 ص 76.

واحسرتي على ما مضى	**...**	**ليتني لم أكن أعرف القضا**
ه/ه//ه //ه/ه//ه		**ه//ه/ه//ه/ه//ه/ه**
أحببت امرأة وخفت الل	**...**	**ه حقاً فما تم حتى انقضى**
ه/ه/ه////ه//ه/ه		**//ه/ه//ه/ه//ه/ه**

وغير ذلك من شعر لا وزن له ولا روى، إلى أن ارعوى ورجع."[43]

ويبدو أنهم كانوا يتقبلون الشعر في غير وزن في بعض الأحيان؛ ومن ذلك ما جاء على لسان ابن حمدون إذ يقول :

"ثم قال لي أبي: يا محمد اخرج معه، أعزه الله، حتى توديه إلى منزله، قال أبو الحسين: فخرجت معه، فلم أزل أحدثه حتى جرى ذكر رزين العروضي الشاعر، وكان قد امتدحه بقصيدة، فمات رزين من قبل أن يوصلها إلى الحسن، فقلت: أعز الله الأمير، كان شاعراً ومن أهل العلم، مدح الأمير بقصيدة هي في العسكر مثل ومات قبل أن ينشدها، قال: فأسمعنيها أنت، فأنشدته:

قربوا جمالهم للرحيل	**...**	**غدوة أحبتك الأقربوك**
ه//ه//ه//ه//ه//ه		**ه//ه//ه////ه//ه//ه**
خلفوك ثم مضوا مدلجين	**...**	**مفرداً بهمك ما ودعوك**
ه//ه//ه////ه//ه//ه		**ه//ه//ه////ه//ه//ه**

وهي ستون بيتاً على غير وزن العروض."[44]

ومن هذا الصنف أيضا ما جاء على لسان مغلطاي في شكواه من سلب ماله :

"قال المختصر عن مغلطاي رأيت غير ما مرة شيخاً مغربياً يحمل على ظهره الخضر من باب زويلة إلى الكتبيين ويكثر من إنشاد شعر بلا وزن مضمونه أن الحاكم أخذ ماله المتروك عن والده وأوراقاً كثيرة منها هذا الشعر وأنه استمع ليلة المحدث في سيرة البطال وقد ذكر أن جماعة قتلوا في الجهاد فقال المغربي

---

(43) الجليس الصالح – المعافى بن زكريا – تحقيق محمد مرسي الخولي – دار عالم الكتب البيروتية ط الأولى 1993/1413م ج1 ص 77.

(44) التذكرة الحمدونية - ابن حمدون – تحقيق د.إحسان عباس – دار صادر بيروت – ط الأولى 1996م - ج1 ص 219.

للمحدث وفيم قتل هؤلاء قال في سبيل الله قال المغربي وأنا أيضاً أموت في سبيل الله فقال له المحدث افعل فتمدد إلى جانبهم فحرك فإذا هو ميت."[45]

فإذا تقدمنا قليلا في العصور وجدنا بعض الموشحات تخرج عن أوزان الشعر التقليدية حتى تصاب بالاضطراب؛ وقد يكون سبب ذلك التأثر بأوزان شعر التروبادور؛ فمن ذلك ما يصفه ابن سناء الملك بقوله:

(الموشح الذي وزن أبياته مضطرب)

لا تشغلوني عن أشغلي يا عذالي ما أنتم مني في بال

هيهات أن أسلو عن عشقي ... وكيف أن أسلو عن حقي"[46]

ولذلك يقول :

"غير أن أهم ظاهرة في التوشيح من حيث النغمة قيام القفل أحيانا على وزن، وقيام الغصن على وزن آخر، فتسير الموشحة في وزنين. والغالب أن يتفق القفل والغصن في الإيقاع العام. وقد يختار الوشاح وزنا مباشرا من أوزان القصيد فينسج عليه موشحته مثل:

أيها الساقي إليك المشتكى ... قد دعوناك وإن لم تسمع وهذا يسميه ابن سناء الملك: "الموشح الشعري"، أو يستخرج وزنا جديدا وهو الشيء الشائع في موشحات العصر الذي نتحدث عنه. وقد منح ابن سناء الملك للخرجة في بحثه عن الموشحات القيمة الكبرى فقال: " والخرجة هي إبراز الموشح وملحه ومسكه وعنبره، وهي العاقبة وينبغي أن تكون حميدة، والخاتمة بل السابقة وإن كانت الأخيرة. وقولي السابقة لأنها التي ينبغي أن يسبق إليها الخاطر ويعملها من ينظم الموشح في الأول وقبل أن يتقيد بوزن أو قافية " :

ويتلخص كلام ابن سناء الملك عن طبيعة الخرجة في الأمور التالية:

(1) أن تكون عامية حادة ظريفة، فإذا كانت معربة خرج الموشح عن أن يكون موشحا.

---

(45) تزيين الأسواق – داود الإنطاكي ج1 ص 24.

(46) دار الطراز في عمل الموشحات ابن سناء الملك – دار الفكر – ط الثالثة – 1980/1400م - ص 27.

(2) أو يحسن أن تكون معربة إذا كان الموشح في المدح وذكر في الخرج اسم الممدوح. "[47]

الخروج على العروض

" العروض ميزان الشعر، سمي بذلك لأن به يظهر المتزن من المنكسر عند المعارضة بها. وذكر الإخباريون جملة تفسيرات لسبب تسميتهم العروض عروضاً، منها أن علم الشعر، ألهم الخليل به بمكة، ومكة من العروض، فقيل لهذا العلم عروضاً، ومنها إنما سمي عروضاً لأن الشعر يعرض عليه، ومنها أنه إنما عرف بعروض الشعر، بقولهم:فواصل أنصاف الشعر، وهو آخر النصف الأول من البيت. فالنصف الأول عروض، لأن الثاني يبنى على الأول، والنصف الأخير الشطر. أو لأن العروض طرائق الشعر وعموده مثل الطويل، فيقال هو عروض واحد. واختلاف قوافيه يسمى ضروباً. أو لأنه إن عرف نصف البيت، وهو العروض سهل تقطيع البيت حينئذ، ولذلك قيل له العروض. وذهب البعض (كذا) إلى أنه إنما عرف بذلك من العرض، لأن الشعر يعرض على هذه الأوزان فما وافق كان صحيحاً وما خالف كان سقيماً. وقيل من العروض، أي الطريق التي في الجبل، والمراد الطريق التي سلكتها العرب، وقيل لما شبهوا البيت من الشعر ببيت الشعر، شبهوا العروض الذي يقيم وزنه بالعروض، وهي الخشبة المعترضة في سقف البيت، كما شبهوا الأسباب بالأسباب والأوتاد بالأوتاد، والفواصل بالفواصل. وعلم العروض، هو علم الشعر والقافية، ويرادفه علم الوزن: وزن الشعر، ويدل اختلافهم الشديد في تعريفه على عدم وجود رأي واضح عند العلماء عن منشأه وعن كيفية ظهوره."[48]

ولعل أبرز الشعراء خروجا عن العروض أبو العتاهية حتى قيل له أنت تخرج عن العروض فقال أنا أكبر من العروض؛ وربما يقصد بقوله هذا عددا من المعاني أولها أنه شاعر بارع يحق له أن يخرج عن الأوزان التقليدية التي جاءت عن القدماء؛ فهو في هذا يضيف إلى القدماء أوزانا؛ كما كان لهم أن يسيروا على أوزان اقترحوها؛ وثانيها أن مولده كان أسبق من مولد العروض على يد الخليل بن أحمد؛ فهو أكبر من العروض في السن؛ ولذا نجده يقترح

(47) تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين - إحسان عباس ص 236.
(48) المفصل في تاريخ العرب ص 5600.

أوزانا جديدة ويرد إليه أنه كان من أوائل الذين استخدموا بحر المتدارك الذي اكتشفه الأخفش؛ وغير ذلك من إضافاته إلى هذا الفن؛ ولكنه في كل الأحوال لم يخرج عن الوزن:

"وكان أبو العتاهية وهو إسماعيل بن القاسم بائع جرار، وكان من أسهل الناس لفظاً وأقدرهم على وزن الكلام، وكان حُلْوَ الألفاظ، حتى أنه يتكلمِ بالشعر في جميع حالاته، ويخاطب به جميع أصناف الناس قد جعله شعراً ونثاراً.

واجتمع أبو نُوَاسٍ وجماعة، فدعا أحدهم بماء فشرب ثم قال:

عَذُبَ الماء وطابا

ثم قال: أجيزوا فترددوا فلم يحضر أحد ما يجانسه في سهولته وقرب مأخذه، حتى جاء أبو العتاهية فقال: فيم أنتم؟ فأعلموه وأنشدوه القسم، فقال:

حبذا الماء شراباً

وله أشعار خرج فيها عن العَرُوض مثل قوله:

هُم القاضي بيت يطرب	**...**	**قال القاضي لما عوتب**
هممل قاضي بيتن يطرب		**قالل قاضي لمما عوتب**
فعْلن فعْلن فعْلن فعْلن		**فعْلن فعْلن فعْلن فعْلن**
ما في الدنيا إلا مذنب	**...**	**هذا عذر القاضي واقلب**
مافد دنيا إللا مذنب		**هاذا عذرل قاضي واقلب**
فعْلن فعْلن فعْلن فعْلن		**فعْلن فعْلن فعْلن فعْلن**[49]

وزنه فَعْلُنْ فعلن أربع مرات، وقد قال قوم: إن العرب لم تقل على وزن هذا شعراً، ولا ذَكَره الخليل ولا غيره من العروضيين."[50]

---

(49) البيتان من الخبب وهو أحد صور بحر المتدارك الذي أضافه العروضيون بعد الخليل، وغالب ظني أن أبا العتاهية كان أول من استخدم هذا البحر على الأقل في صورته هذه؛ وتفعيلته (فعْلن) ساكنة العين، فإذا كان أصل التفعيلة (فاعلن) تفعيلة المتدارك فقد دخل عليها علة وليس زحاف، حيث حذف ساكن الوتد المجموع وسكن المتحرك قبله، والأصل ألا تصيب العلل تفعيلات حشو البيت، وإنما تحدث العلل في الأعاريض والأضرب، بل في أواخرها على وجه التحديد، ويلتزم بها الشاعر على طول القصيدة، لما لها من تأثير على أحرف القافية.

(50) مروج الذهب للمسعودي – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت - ج2 ص 52

ويبدو أن الأخفش لم يسم هذا الوزن الجديد؛ الذي لم يسجله الخليل؛ وإنما عرفه ونظم منه أشعارا مختلفة (51)

وقد زاد بعض الشعراء في الأوزان التي وضعها الخليل؛ فالتزموا بأوزان لم ترد في الشعر العربي في عصوره المتقدمة إذ يقول المسعودي:

"وقد زاد جماعة من الشعراء على الخليل بن أحمد في العروض: من ذلك المديد، وهو ثلاثة أعاريض وستة ضروب عند الخليل، وفيه عروض رابع وضربان مُحْدَثان؛ فالضرب الأول من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر:

مَنْ لعين لا تنام	**...**	**دمعها سَحٌّ سجام**
من لعينن لا تنام		**دمعهاسح حنسجام**
فاعلاتن فاعلان		**فاعلاتن فاعلان**

والضرب الثاني من العروض الرابعة المحدثة قول الشاعر:

يا لبكر لا تَنُوا	**...**	**ليس ذا حين ونا**
يالبكرن لاتنو		**ليسذاحي نونا**
فاعلاتن فاعل		**فاعلاتن فعلن**

وغير ذلك مما قد تكلموا فيه، وذكروه في هذا المعنى من الزيادات مما قد أتينا على وصفه وقدمنا من ذكره في كتابنا في أخبار الزمان."(52)

ويبدو أن ابن خلدون وغيره من أصحاب الذوق التقليدي كانوا لا يرحبون بالخروج على العروض وعما أجمعت عليه العرب من أوزانها؛ ولذا يقول:

"ويراعى فيه اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد، حذراً من أن يتساهل الطبع في الخروج من وزن إلى وزن يقاربه. فقد يخفى ذلك من أجل المقاربة على كثير من الناس. ولهذه الموازين شروط وأحكام تضمنها علم العروض. وليس كل وزن يتفق في الطبع استعملته العرب في هذا الفن، وإنما هي أوزان مخصوصة يسميها أهل تلك الصناعة البحور. وقد حصروها في خمسة عشر بحراً، بمعنى أنهم لم يجدوا للعرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظماً.

---

(51) انظر إنباه الرواة ج1 ص 342؛ وانظر أيضا مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص 32.

(52) مروج الذهب المسعودي ج 2 ص 53.

واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم، وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم. وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن ملكاتهم كلها. والملكات اللسانية كلها إنما تكتسب بالصناعة والارتياض في كلامهم، حتى يحصل شبه في تلك الملكة."[53]

وقد رأى الباحثون في ابتداع أوزان جديدة ما يخرج عن الذوق التقليدي للقصيدة العربية القديمة؛ ورأوا أن عدم استعمال شعراء الجاهلية لهذه الأوزان دليل على نبوها عن الذوق العربي؛ برغم صحة وزنها؛ ولذلك يقول أحدهم:

"ولولا أن الوزن الذي يسمى ركض الخيل[54] وزن ركيك، لوجب على نقيب الشعراء أن يتقدم إليهم ألا ينشدوا " السيد عزيز الدولة " - أعز الله نصره - شعراً في هذه الآونة إلا على ذلك الوزن. ولكنه وزن ضعيف هجرته الفحول في الجاهلية وفي الإسلام. وربما تكلفه بعض الشعراء، كما قال:

أَوَقَفْتَ على طَلَلٍ طَرَباً ... فشَجاكَ وأحزَنَكَ الطَّلَلُ

أوقف تعلى طللن طربن فشجا كوأح زنكط طللو

فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن فعلن

وقد تأملت عدو الخيل فوجدت هذا الوزن يشابه التقريب الأعلى والتقريب الأدنى، على حسب عجلة المنشد وترسله. وهما تقريبان أحدهما الثعلبية والآخر هو الذي يسمي الإرخاء. وكلاهما إذا سمعته أدى إلى سمعك هذا الوزن بعينه. وذلك أن الفرس يضرب بحوافره الأرض ثلاث ضربات متواليات ثم يثب، فيكون ضربه الأرض موازياً لثلاثة أحرف متحركات، ويكون وثبه موازياً للسكون."[55]

"وإذا قدم عهد الشاعر كان ديوانه مظنة لمثل هذه الأوزان النادرة، وما أفلح وزن منها قط. وربما ندر بيت بعد بيت، ولا يجيء حسناً في السمع إلا أن يلحقه بعض التغيير عما هو في الأصل. فمن ذلك قول " عبيد " :

---

(53) مقدمة ابن خلدون تحقيق عبد الله محمد الدرويش – دار يعرب – ط الأولى 2004/1425م - ج1 ص 367.

(54) يقصد الخبب.

(55) الصاهل والشاحج - ص 101.

تَصبو وأنّى لكَ التصَابي	**...**	**أنّى وقد راعك المَشِيبُ**
تصبووأن نى لكت تصابي		**أننى وقد راعكل مشيبو**
مستفعلن فاعلن فعولن		**مستفعلن فاعلن فعولن**

وفيها.

مَنْ يسألِ الناسَ يَحرِموه	**...**	**وسائلُ اللهِ لا يَخيبُ**
منيسألن ناسيح رموهو		**وسائللا لاهلا يخيبو**
مستفعلن فاعلن فعولن		**متفعلن فاعلن فعولن**

فهذان البيتان إنما حسنا في الوزن لأجل شيء سقط منهما فقبلتهما الغريزة الخالصة. ألا ترى إلى قوله:

والمرءُ ما عاش في تكذيبِ	**...**	**طولُ الحياةِ له تعذيبُ**
ولمرءما عاشفي تكذيبي		**طوللحيا تلهو تعذيبو**
مستفعلن فاعلن مفعولن		**مستفعلن فاعلن مفعولن[56]**

كيف هو مخالف لهذين البيتين؟."[57]

وكذلك الحال في كل الأوزان التي أضافها أبو العتاهية على ما سمع عن العرب؛ ومنها قوله:

"عُتْبَ ما للخيالِ	**...**	**خبّريني ومالِي**
ما لَه لم يَزُرْني	**...**	**طارقاً مُذْ ليال**

وهذا من أضعف أوزان الشعر وأركهن. ولم تستعمله الجاهلية ولا الفحول في الإسلام. وإنما عمله " إسماعيل بن القاسم " على هيئة اللعب. وإذا أردت أن تخرج من قول القائل:

قِفَا نَبْك من ذكرى حبيبٍ وعرفان

---

(56) هذا البيت من أعاريض البسيط، العروض المجزوءة المقطوعة؛ حيث تدخل علة القطع على (مستفعلن) وتتحول إلى (مستفعلْ) أو (مفعولن)، ما يحدث في مخلع البسيط أن زحاف الخبن يدخل على (مستفعلْ) فتكون (متفعل) أو (فعولن)، ويلتزم الشاعر بالخبن في أبيات القصيدة كلها، عروضا وضربا، أما وقد أتي الشاعر هنا ببيت لم يدخله الخبن، فهو و إن كان جائزا فإنه يخل بالإيقاع، ويثقل على الأذن، إذ إن تفعيلتي العروض والضرب أهم تفعيلتين في البيت وبهما يُضبط الإيقاع، وهذا ما يفسر التزام الشعراء بالزحافات التي تجري مجرى العلل.

(57) الصاهل والشاحج - ص 113.

مثل قول " إسماعيل " :

عُتبَ ما للخَيالِ

فأسقط من أوله: " قفا نبك من " والذال والكاف من " ذكرى " ثم زد ما أسقطت من أول البيت، على آخره. فإنه يخرج منه وزن بيتين من أبيات " إسماعيل " لأن كل بيت من أبياته مثل نصف هذا الوزن.."[58]

ووزن هذا الشعر إنما يستنبط من الدوائر العروضية التي وضعها الخليل وإن لم يستخدمه العرب؛ فوزنه (فاعلن فاعلاتن) أي أنه عكس بحر المديد الذي يأتي في صورته الأصلية على (فاعلاتن فاعلن).

ويبدو أن أبا العتاهية كان مغرما بهذه الأوزان التي تستنبط من البحور المهملة على الدوائر العروضية فمن ذلك قوله:

للمنون دائرات يدرن صرفها هن ينتقيننا واحدا فواحدا

والبيت إنما يأتي على عكس وزن البسيط (فاعلن مستفعلن)؛ غير أن هذه المحاولات لم يكتب لها الذيوع والانتشار نظرا لنبوها عن الموسيقى المعروفة للشعر العربي.

بل إنهم وازنوا بين بحور الشعر المعروفة عن العرب ليجعلوا بعضها ركيكا بعيدا عن الذوق وبعضها قريبا مستساغا؛ فمن أجل ذلك يقول المعري:

"وإذا اعترضت الديوان من دواوين الفحول كان أكثر ما فيه طويلاً وبسيطاً. والمديد وزن ضعيف لا يوجد في أكثر دواوين الفحول. والطبقة الأولى ليس في ديوان أحدٍ منهم مديد؛ أعنى امرأ القيس وزهيراً والنابغة والأعشى في بعض الروايات. وقد جاءت لطرفة قصيدة من المديد وهي:

أشجاك الربع أم قدمه ... أم رماد دارس حممه

---

(58) الصاهل والشاحج - ص 114. لِمَ استخرج الوزن من الطويل بهذا الشكل وهو إلى مجزوء الخفيف أقرب نسبا؟، حيث للخفيف عروض مجزوءة صحيحة ولها ضرب مقصور مخبون (مستفع لن) تتحول إلى (فعولن)، وإذا نظرنا إلى البيتين نجد أن الشاعر أدخل الخبن والقصر على (مستفع لن) العروض ولم يأت بها صحيحة كما هي عليه في أصل البحر، وبالتالي فيمكن أن نعد هذا مما زاده الشعراء على بحور الخليل، طالما يجوز هذا في البحر ، ولا يتنافى مع الذوق.

وربما جاءت منه الأبيات الفاردة كقول مهلهلٍ:

يالبكرٍ أنشروا لي كليباً ... يا لبكرٍ أين أين القرار

و " **إن بالشعب** " مختلف في قائلها ولم يجمعوا على أنها قديمة. وتوجد هذه الأوزان القصار في أشعار المكيين والمدنيين كعمر بن أبي ربيعة ومن جرى مجراه كوضاحٍ اليمن والعرجى، ويشاكلهم في ذلك عدى بن زيدٍ لأنه كان من سكان المدر بالحيرة وله قصيدة في المديد من سادسه وهي:

يا لبينى أوقدي النارا

ويقال إن العرب كانت تسمى الطويل الركوب لكثرة ما كانوا يركبونه في أشعارهم. والأوزان التي تتقدم في الشعر كله خمسة: ثلاثة هي ضروب الطويل بأسرها، والضربان الأولان من البسيط."[59]

ويبدو أن تطوير الأوزان الشعرية قد أعجب طائفة من متأخري الشعراء ومنهم البهاء؛ إذ أضافوا إلى الشعر شيئا من هذه الأوزان:

"فمن ذلك قوله :

(59) الفصول والغايات المعري - ص 64.

فاح نَشْرُ الصَّبا وصاح الديكْ	...	وانْثنى البانُ يشتكي التحريكْ
فاحنشرص صباوصا صدديك		وانثنلبا نواشتكت تحريك
فاعلاتن متفعلن فاعلن		فاعلاتن متفعلن فاعلْن
قَم بنا نجْتلى مُشَعْشَعَة	...	تاه من وجْدِه بها النَّسِّيكْ
قم بنانتج تليمشع شعتن		تاهمنوج دهيبهن نسسيكو
فاعلاتن متفعلن فعلن		فاعلاتن متفعلن فاعلْن
لو رآها المجوسُ عاكفةَ	...	وَحَّدُوها وجانبوا التَّشْريكْ
لورأاهل مجوسعا كفتن		وححدوها وجانبت تشريك
فاعلاتن متفعلن فعلن		فاعلاتن متفعلن فاعلْن
إن تَسِرْ نحونا تُسَرَّ وإن	...	مِتَّ في السيْر دوننا نُحْييكَ
إن تسرنح وناتسر روإن		متتفسي ردوننا نحييك
فاعلاتن متفعلن فعلن		فاعلاتن متفعلن فاعلْن

وهو أول من اخترع هذا الوزن والقافية، واقتفى أثره ابنه البهاء، في قوله :

يا نَدِيمِي بمُهجتي أفْديكْ	...	قُمْ وهاتِ الكؤُوسَ من هاتِيكْ

ثم تداول الأدباء هذا الوزن والقافية، ولولا خوف الملل لذكرت من ذلك الجملة الكافية."(60)

وحتى نظم الشاعر على أصل الدائرة العروضية كانوا يعدونه اضطرابا؛ لأنه لم يسمع عن العرب؛ وفي ذلك يقول الواحدي:

"إنما بدر بن عمار سحاب	...	هطل فيه ثواب وعقاب
إننمابد ربنعمما رنسحابو		هطلنفي هثوابن وعقابو
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن		فعلاتن فعلاتن فعلاتن

هذه القطعة مضطربة الوزن وهي من الرمل وذلك لأنه جعل العروض فاعلاتن وهو الأصل في الدائرة ولكن لم يستعمل العروض ههنا إلا محذوفة السبب على وزن فاعلن كقول عبيد،

مثل سحق البرد عفى بعدك القطر مغناه وتأويب الشمال

(60) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة – المحبي – تحقيق أحمد عناية – دار الكتب العلمية - مجلد 1 ص 223.

مثلسحقل بردعففا بعدل ... قطرمغنا هوتأوي بششمالي
فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فعلاتن فاعلاتن

غير أن هذا البيت الأول صحيح الوزن لأنه مصرع فتبعت عروضه ضربه والمعنى أن السحاب فيه صواعق ورعد وبرق وماء كذلك هذا الممدوح فيه ثواب لأوليائه عقاب لأعدائه"[61]

وقد رصد الباحثون كثيرا من استخدامات هؤلاء الشعراء للبحور المهملة على الدوائر العروضية؛ بل رصدوا أيضا استخدام بعض الأوزان الشعبية التي جدت في العصر العباسي ومنها وزن المواليا الذي يقال إنه انتشر لأن الرشيد منع الناس من رثاء البرامكة بعد أن نكبهم؛ فجعلت إحدى الجواري تغني أشعارا على هذا الوزن وتقول (ياموالیا)؛ ويبدو أن هذه القصة كانت تهدف إلى تفسير سبب تسمية هذا الوزن باسمه؛ ولكنها لم تكن حقيقية؛ إذ يقول أستاذنا الدكتور شوقي ضيف إن هناك أشعارا كثيرة كتبت في رثاء البرامكة؛ ولم يؤثر عن الرشيد أنه منع رثاءهم.[62]

(61) شرح ديوان المتنبي – الواحدي – تحقيق ياسين الأيوبي – قصي الحسين – ط الأولى 1999 - ص ج1 ص 114.
(62) انظر العصر العباسي الأول د/ شوقي ضيف _ ط دار المعارف _ مصر – ط السادسة عشرة – ص 196.

الخاتمة:

لم يكن الشعر العربي الذي وصل إلينا عن الجاهليين منضبطا بشكل صارم؛ ولم يكن ذلك فيما يبدو يتعلق بأولية هذا الشعر؛ إذ إن الشعراء الفحول الذين وصلت جل أشعارهم مضبوطة موزونة لم تخل أشعارهم من بعض ما نعده خروجا عن الوزن والقافية بالقطع؛ وربما يتعلق ذلك بطبيعة البحر الذي ينظم فيه الشاعر؛ وبلون الغناء المصاحب له؛ إذ إن غالبية ما نعده كسرا جاء في بحرين قصيرين؛ هما مخلع البسيط؛ والسريع؛ ربما للغناء المصاحب لهذين البحرين نمط يختلف عن بقية البحور الشعرية؛ وربما لأن هذين البحرين قد غابت موسيقاهما عن علم الخليل كما يقول بروكلمان؛ لكن الشعر العربي يسعى في مجمله لضبط الأوزان والتقيد بها تقيدا صارما عبر رحلته الطويلة؛ وعلى العكس من ذلك كان الاهتمام بالعروض؛ فقد حاول الشعراء الخروج على الأوزان التقليدية إلى أوزان جديدة إما عكس الدوائر الخليلية أو خارجها على الإطلاق كما نجد في أشعار أبي نواس وأبي العتاهية الذي كان يقول إنه أكبر من العروض؛ في محاولة للتجديد في موسيقى الشعر العربي؛ دون الإخلال بالإيقاع العام للقصيدة.